

بفتح الدال . رواه ابن جرير إلا أن بعض من فسرها كذلك يعيد الضمير في قوله ( وظنوا أنهم قد كذبوا ) إلى أتباع الرسل من المؤمنين ومنهم من يعيده إلى الكافرين منهم أى وظن الكفار أن الرسل قد كذبوا مخففة فيما وعدوا به من النصر ، وأما ابن مسعود فقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن فضيل عن حمش<sup>(١)</sup> بن زياد الضبي عن عيم بن حزم<sup>(٢)</sup> قال سمعت عبدالله بن مسعود يقول في هذه الآية ( حق إذا استيأس الرسل ) من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم وظن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد كذبوا بالتحفيف . فهاتان الروايتان عن كل من ابن مسعود وابن عباس وقد أنكرت ذلك عائشة على من فسرها بذلك واتصرت لها ابن جرير ووجه المشهور عن الجمهور وزيف القول الآخر بالكلية وردة وأباه ولم يقبله ولا ارتضاه والله أعلم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين ( عبرة لأولى الألباب وهي العقول ( ما كان حديثاً يفترى ) أى وما كان لهذا القرآن أن يفترى من دون الله ، أى يكذب ويختلق ( ولكن تصديق الذي بين يديه ) أى من الكتب المنزلة من السماء هو يصدق ما فيها من الصحيح وينفى ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير ( وتفصيل كل شيء ) من تحليل وتحريم ومحجوب ومكروه وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات والإخبار عن الأمور الجليلة وعن الغيوب المستقبلية المحملة والتفصيلية والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن بمائلة الخلوقات ولهذا كان ( هدى ورحمة لقوم يؤمنون ) تهتدى به قلوبهم من التغي إلى الرشاد ، ومن الضلال إلى السداد ، ويتنعمون به الرحمة من رب العباد ، في هذه الحياة الدنيا ويوم العاد ، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة ، يوم يفوز بالريح البيضاء وجوههم الناضرة ، ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة . آخر تفسير سورة يوسف عليه السلام والله الحمد والمنة وبه المستعان

### ﴿ تفسير سورة الرعد وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم في أول سورة البقرة وقد منا أن كل سورة ابتدئت بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن وتبيان أن نزوله من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب ولهذا قال ( تلك آيات الكتاب ) أى هذه آيات الكتاب وهو القرآن وقيل التوراة والإنجيل قاله مجاهد وقتادة وفيه نظر بل هو بعيد ثم عطف على ذلك عطف صفات فقال ( والذي أنزل إليك ) أى يا محمد ( من ربك الحق ) خبر تقدم مبتدؤه وهو قوله ( والذي أنزل إليك من ربك ) هذا هو الصحيح المطابق لتفسير مجاهد وقتادة واختار ابن جرير أن تكون الواو زائدة أو عاطفة صفة على صفة كما قدمنا ، واستشهد بقول الشاعر : إلى الملك القرم وابن الهمام \* وليت الكنيئة في المزدحم وقوله ( ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ) كقوله ( وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ) أى مع هذا البيان والجلاء والوضوح لا يؤمن أكثرهم لما فيهم من الشقاق ، والعناد والنفاق .

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي

(١) في نسخة ابن جرير جش (٢) في النسخة المكية جثامة وفي نسخة ابن جرير حذل بالذال والصواب الذي في التقريب أنه حزل بالزاي المعجمة .

لِأَجْلِ مَسْمَىٰ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١٠٠﴾

نخبّر تعالى عن كمال قدرته وعظم سلطانه أنه الذي يأذنه وأمره رفع السموات بغير عمد بل يأذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بعدا لاتنال ولا يدرك مداها ، فالسما الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاها وأرجائها مرتفعة عليها من كل جانب على السواء وبعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام وسمكتها في نفسها مسيرة خمسمائة عام ، ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت وبينهما من بعد المسير خمسمائة عام وسمكتها خمسمائة عام وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة كما قال تعالى ( الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ) الآية . وفي الحديث « ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة والكرسي في العرش المجيد كذلك الحلقة في تلك الفلاة » وفي رواية « والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل » وجاء عن بعض السلف أن بعد ما بين العرش الى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة وبعد ما بين قطبيه مسيرة خمسين ألف سنة وهو من ياقوتة حمراء . وقوله ( بغير عمد ترونها ) روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد أنهم قالوا لها عمد ولكن لا ترى ، وقال إياس بن معاوية السماء على الأرض مثل القبة يعني بلا عمد وكذا روى عن قتادة وهذا هو اللائق بالسياق ، والظاهر من قوله تعالى ( ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ) فعلى هذا يكون قوله ( ترونها ) تأكيداً لنفي ذلك أي هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها وهذا هو الأكل في القدرة ، وفي شعر أمية ابن أبي الصلت الذي آمن شعره وكفر قلبه كما ورد في الحديث ، ويروى لزيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنه

وأنت الذي من فضل من ورحمة \* بعثت إلى موسى رسولا مناديا \* قفلت له فاذهب وهرود فادعوا  
إلى الله فرعون الذي كان طاغيا \* وقولا له هل أنت سويت هذه \* بلا وتد حتى استقلت كما هيا  
وقولا له آنت رفعت هذه \* بلا عمد أو فوق ذلك بانيا ؟ \* وقولا له هل أنت سويت وسطها  
منيرا إذا ماجنك الليل هاديا \* وقولا له من يرسل الشمس غدوة \* فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا  
وقولا له من أنبت الحب في الثرى \* فيصبح منه العشب يهتز رايا  
ويخرج منه حبه في رءوسه \* ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى ( ثم استوى على العرش ) تقدم تفسيره في سورة الأعراف وأنه يمر كما جاء من غير تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل ، ولا تمثيل ، تعالى الله علوا كبيرا . وقوله ( وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ) قيل المراد أنهما يجريان إلى انقطاعهما بقيام الساعة كقوله تعالى ( والشمس تجري لمستقر لها ) وقيل المراد إلى مستقرهما وهو تحت العرش مما يلي بطن الأرض من الجانب الآخر فانهما وسائر الكواكب إذا وصلوا هنالك يكونون أبعد ما يكون عن العرش لأنه على الصحيح الذي تقوم عليه الأدلة قبة مما يلي العالم من هذا الوجه وليس بمحيط كسائر الأفلاك لأن له قوائم وحملة يحملونه ، ولا يتصور هذا في الفلك المستدير وهذا واضح لمن تدبر ما وردت به الآيات والأحاديث الصحيحة والله الحمد والمنة . وذكر الشمس والقمر لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة التي هي أشرف وأعظم من الثوابت فاذا كان قد سخر هذه فلا أن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأحرى كما نبه بقوله تعالى ( لاتسجدوا للشمس والقمر واللقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ) مع أنه قد صرح بذلك بقوله ( والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره أإله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ) ، وقوله ( يفصل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون ) أي يوضح الآيات والدلالات الدالة على أنه لا إله إلا هو وأنه يعيد الخلق إذا شاء كما بدأه .

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِزْقًا لِأَنْثَيْنِ يُغِيثُ  
اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ \* وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْ مَّتَجَوِّرَاتٍ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ

وَزَرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسَمَّى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضُلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

لما ذكر تعالى العالم العلوى شرع في ذكر قدرته وحكمته وأحكامه للعالم السفلى فقال ( وهو الذى مد الأرض ) أى جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض وأرسلها بجبال راسيات شامخات وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون ليسقى ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح ( من كل زوجين اثنين ) أى من كل شكل صنفان ( يغشى الليل النهار ) أى جعل كلا منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا فاذا ذهب هذا غشيه هذا واذا انقضى هذا جاء الآخر فيتصرف أيضا في الزمان كما يتصرف في المكان والسكان ( إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) أى في آلاء الله وحكمه ودلائله . وقوله ( وفي الأرض قطع متجاورات ) أى أراض يجاور بعضها بعضا مع أن هذه طيبة تنبت ما ينفع الناس وهذه سبخة مالحة لاتنبت شيئا . هكذا روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد ، ويدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض فهذه تربة حمراء وهذه بيضاء وهذه صفراء وهذه سوداء وهذه محجرة وهذه سهلة وهذه مرملة وهذه سميكة وهذه رقيقة والكل متجاورات فهذه بصفتها وهذه بصفتها الأخرى فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار لإله الإله ولا رب سواه ، وقوله ( وجنات من أعناب وزرع ونخيل ) يحتمل أن تكون عاطفة على جنات فيكون ( وزرع ونخيل ) مرفوعين . ويحتمل أن يكون معطوفا على أعناب فيكون مجرورا ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الأئمة . وقوله ( صنوان وغير صنوان ) الصنوان هو الأصول المجتمعة في منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك ، وغير الصنوان ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار ومنه سمي عم الرجل صنو أبيه كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لعمر « أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه » وقال سفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحق عن البراء رضى الله عنه : الصنوان هى النخلات فى أصل واحد وغير الصنوان المتفرقات . وقاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد . وقوله ( تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ) قال الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ ( ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ) قال « الدقل والفارسى والحلو والحامض » رواه الترمذى وقال حسن غريب أى هذا الاختلاف فى أجناس الثمرات والزرع فى أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها وأوراقها وأزهارها فهذا فى غاية الحلاوة وهذا فى غاية الحموضة وهذا فى غاية المرارة وهذا عذب وهذا عذب وهذا جمع هذا وهذا ثم يستحيل إلى طعم آخر باذن الله تعالى ، وهذا أصفر وهذا أحمر وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق ، وكذلك الزهورات مع أنها كلها تستمد من طبيعة واحدة وهو الماء مع هذا الاختلاف الكثير الذى لا ينحصر ولا ينضب ، فى ذلك آيات لمن كان واعيا ، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذى بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد ولهذا قال تعالى ( إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون )

﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْقَابِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠١﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ( وإى تعجب ) من تكذيب هؤلاء المشركين بالمعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلائله فى خلقه على أنه القادر على ما يشاء ومع ما يعترفون به من أنه ابتداء خلق الأشياء فكونها بعد أن لم تكن شيئا مذكورا ثم هم بعد هذا يكذبون خبره فى أنه سيعيد العالم خلقا جديدا وقد اعترفوا وشاهدوا ماهو أعجب مما كذبوا به فالعجب من قولهم ( أئذا كنا ترابا أئنا لئفى خلق جديد ) وقد علم كل عالم وعاقل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، وأن من بدأ الخلق فالاعادة عليه أسهل كما قال تعالى ( أولم يروا أن الله الذى

خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير) ثم نعت المكذبين بهذا فقال ( أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم ) أى يسبحون بها فى النار ( وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) أى ما كثون فيها أبدا لا يحولون عنها ولا يزولون .

﴿ وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

يقول تعالى ( ويستعجلونك ) أى هؤلاء المكذبون ( بالسيئة قبل الحسنه ) أى بالعقوبة كما أخبر عنهم فى قوله ( وقالوا يا أيها الذى أنزل عليه الذكر إنك لمجنون ، لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ، ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ) وقال تعالى ( ويستعجلونك بالعداب ) الآيتين وقال تعالى ( سأل سائل بعذاب واقع ) وقال ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ) ( وقالوا ربنا عجل لنا قسطنا ) الآية أى عقابنا وحسابنا كما قال مجبرا عنهم ( وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ) الآية فكانوا من شدة تكذيبهم وعنادهم وكفرهم يطلبون أن يأتهم بعذاب الله قال الله تعالى ( وقد خلت من قبلهم اللثام ) أى قد أوقعنا قطننا بالأمم الخالية وجعلناهم عبرة وعظة لمن تعظ بهم ، ثم أخبر تعالى أنه لولا حلمه وعفوه لعاجلهم بالعقوبة كما قال ( ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ) وقال تعالى فى هذه الآية الكريمة ( وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ) أى إنه تعالى ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف كما قال تعالى ( فإن كذبوك قتل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ) وقال ( إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم ) وقال ( نبى عبادى أى أنا الغفور الرحيم \* وأن عذابى هو العذاب الأليم ) إلى أمثال ذلك من الآيات التى تجمع الرجاء والخوف وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية ( وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ) الآية قال رسول الله ﷺ « لولا عفو الله وتجاوزة ما هنا أحد العيش ولولا وعيده وعقابه لا تكمل كل أحد » وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة الحسن بن عثمان أبى حسان الرمادى (١) أنه رأى رب العزة فى النوم ورسول الله ﷺ واقف بين يديه يشفع فى رجل من أمته فقال له ألم يكفك أنى أنزلت عليك فى سورة الرعد ( وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ) قال ثم انتهت

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾

يقول تعالى إخبارا عن المشركين أنهم يقولون كفرا وعنادا لولا يأتينا بآية من ربه كما أرسل الأولون كما تمنعوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن يزيح عنهم الجبال ويجعل مكانها مروجا وأنهارا قال تعالى ( وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ) الآية قال الله تعالى ( إنما أنت منذر ) أى إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التى أمرك بها ، و ( ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ) وقوله ( ولكل قوم هاد ) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : أى ولكل قوم داع ، وقال العوفى عن ابن عباس فى الآية يقول الله تعالى أنت يا محمد منذر وأنا هادى كل قوم وكذا قال محمد وسعيد بن جبير والضحاك وغير واحد وعن مجاهد ( ولكل قوم هاد ) أى نبى كقوله ( وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ) وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد وقال أبو صالح ويحيى بن رافع ( ولكل قوم هاد ) أى قائد وقال أبو العالية : الهادى القائد والقائد الإمام والإمام العمل وعن عكرمة وأبى الضحى ( ولكل قوم هاد ) قالوا هو محمد ﷺ وقال مالك ( ولكل قوم هاد ) يدعوهم إلى الله عز وجل وقال أبو جعفر بن جرير حدثنى أحمد بن يحيى الصوفى حدثنا الحسن بن الحسين الأنصارى حدثنا معاذ بن مسلم حدثنا الهروى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير



قتادة (وكل شيء عنده بمقدار) أي بأجل ، حفظ أرزاق خلقه وآجالهم وجعل لذلك أجلا معلوما . وفي الحديث الصحيح أن إحدى بنات النبي ﷺ بعثت إليه أن ابناً لها في الموت وأنها تحب أن يحضره فبعث إليها يقول « إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فمروها فلتصبر ولتحتسب » الحديث بتامه ، وقوله (عالم الغيب والشهادة) أي يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم ولا يخفى عليه منه شيء (الكبير) الذي هو أكبر من كل شيء (المتعال) أي على كل شيء (قد أحاط بكل شيء علما) وقهر كل شيء فخصت له الرقاب ودان له العباد طوعا وكرها .

﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ \* لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَالٍ ﴾

يخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه وأنه سواء منهم من أسر قوله أو جهر به فإنه يسمعه لا يخفى عليه شيء كقوله (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) وقال (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) وقالت عائشة رضي الله عنها : سبحان الذي وسع سمعه الأصوات ، والله لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جنب البيت وإنه ليخفى عليّ بعض كلامها فأنزل الله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) وقوله (ومن هو مستخف بالليل) أي مختف في قعر بيته في ظلام الليل (وسارب بالنهار) أي ظاهر ماش في بياض النهار وضيائه فان كلاهما في علم الله على السواء كقوله تعالى (ألا حين يستغشون ثيابهم) الآية وقوله تعالى (وماتكون في شأن و ماتتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) . وقوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات ، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، فائتان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات ، وملك آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من ورائه وآخر من قدمه فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلا حافظان وكاتبان كما جاء في الصحيح « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويحتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه النبي باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصابون » وفي الحديث الآخر « إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الحلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمهم » وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) والمعقبات من الله هي الملائكة ، وقال عكرمة عن ابن عباس (يحفظونه من أمر الله) قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فاذا جاء قدر الله خلوا عنه ، وقال مجاهد ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فإمناها شيء يأتيه يريد الإقالة له : الملك وراءك إلا شيء أذن الله فيه فيصيه .

وقال الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) قال ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس ، وقال العوفي عن ابن عباس (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) يعني ولي السلطان يكون عليه الحرس ، وقال عكرمة في تفسيرها هؤلاء الأمراء الموكب من بين يديه ومن خلفه ، وقال الضحاك في الآية هو السلطان المحروس من أمر الله وهم أهل الشرك ، والظاهر والله أعلم أن مراد ابن عباس وعكرمة والضحاك بهذا أن حرس الملائكة للعبد يشبه حرس هؤلاء الملوكة وأمرائهم ، وقد روى الإمام أبو جعفر

ابن جرير ههنا حديثاً غريباً جداً فقال حدثني المثنى حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن العبدكم معه من ملك ؟ فقال « ملك على يمينك على حسناتك وهو أمير على الذي على الشمال فإذا عملت حسنة كتبت عشرها ، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين اكتبها ؟ قال لا ، لعله يستغفر الله ويتوب فيستأذنه ثلاث مرات ، فإذا قال ثلاثاً قال اكتبها أراحنا الله منه فبئس القرين ، ما أقل مراقبته الله وأقل استحياءه منا ، يقول الله ( ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى ( له معقبات من بين يديه ومن خلفه ) - الآية - وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك ، وإذا تجبرت على الله قصمك ، وملكان على شفيتك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد - صلى الله عليه وسلم - وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي ، وإبليس بالنهار وولده بالليل . وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أسود بن عامر حدثنا سفيان حدثني منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » قالوا وإياك يا رسول الله ، قال « وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير » انفرد باخراجه مسلم وقوله ( يحفظونه من أمر الله ) قيل المراد حفظهم له من أمر الله رواه علي بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس واليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم وقال قتادة ( يحفظونه من أمر الله ) قال وفي بعض القراءات يحفظونه بأمر الله ، وقال كعب الأحبار: لو بجلى لابن آدم كل سهل وكل حزن لرأى كل شيء من ذلك شيئاً يقينه لولا أن الله وكل بكم ملائكة يذوبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذا لتخطفتهم . وقال أبو أمامة مامن آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدره ، وقال أبو مجاز : جاء رجل من مراد إلى علي رضي الله عنه وهو يصلي فقال احترس فإن ناساً من مراد يريدون قتلك فقال إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه . إن الأجل جنة حصينة ، وقال بعضهم ( يحفظونه من أمر الله ) بأمر الله كما جاء في الحديث أنهم قالوا يا رسول الله أرأيت رقياً نسترقى بها هل ترد من قدر الله شيئاً ، فقال « هي من قدر الله » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن أشعث عن جهم عن إبراهيم قال أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك انه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله الا حول الله عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون ثم قال ان تصديق ذلك في كتاب الله ( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) وقد ورد هذا في حديث مرفوع فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابة صفة العرش حدثنا الحسن بن علي حدثنا الهيثم بن الأشعث السلمي حدثنا أبو حنيفة اليماني الأنصاري عن عمير بن عبد الملك قال : خطبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة قال : كنت إذا أمسكت عن رسول الله ﷺ ابتدأني وإذا سألته عن الخبر أنبأني وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال « قال الرب وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشى مامن قرية ولأهل بيت كانوا على ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي » وهذا غريب وفي إسناده من لا يعرفه

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثَّقَالَ \* وَيَسْبِغُ الرُّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنَ خَيْفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾

يخبر تعالى أنه هو الذي يسخر البرق وهو ما يرى من النور اللامع ساطعاً من خلل السحاب ، وروى ابن جرير أن ابن عباس كتب إلى أبي الجعد يسأله عن البرق فقال: البرق: الماء . وقوله ( خوفاً وطمعا ) قال قتادة خوفاً للمسافر يخاف

أذاه ومشقته وطعما للقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله ( وينشئ السحاب الثقال ) أي ويخلقها منشأة جديدة وهي لكثرة ماؤها ثقيلة قريبة إلى الأرض، قال مجاهد : السحاب الثقال الذي فيه الماء قال ( ويسبح الرعد بحمده ) كقوله ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا إبراهيم بن سعد أخبرني أبي قال كنت جالسا إلى جنب حميد بن عبد الرحمن في المسجد فر شيخ من بني غفار فأرسل إليه حميد فلما أقبل قال يا ابن أخي وسع فيما بيني وبينك فإنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حتى جلس فيما بيني وبينه فقال له حميد ما الحديث الذي حدثني عن رسول الله ﷺ فقال له الشيخ سمعت عن شيخ من بني غفار أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك » والمراد والله أعلم أن نطقها الرعد وضحكها البرق ، وقال موسى بن عبيدة عن سعد بن إبراهيم قال يبعث الله الغيث فلا أحسن منه مضحكا ولا آنس منه منطلقا فضحكه البرق ومنطقه الرعد، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ، ملك له أربعة وجوه : وجه إنسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد فإذا مصع بذنبه فذاك البرق ، وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الحجاج حدثنا أبو مطر عن سالم عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد والصواعق قال « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك » ورواه الترمذي والبخاري في كتاب الأدب والنسائي في اليوم والليلة والحاكم في مستدرکه من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي مطر ولم يسم به ، وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبيه عن رجل عن أبي هريرة رفعه أنه كان إذا سمع الرعد قال « سبحان من يسبح الرعد بحمده » وروى عن علي رضي الله عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد يقول : سبحان من سبحت له . وكذا روى عن ابن عباس وطاوس والأسود بن يزيد أنهم كانوا يقولون كذلك ، وقال الأوزاعي كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة ، وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته . ويقول إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض رواه مالك في موطنه والبخاري في كتاب الأدب

وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود الطيالسي حدثنا صدقة بن موسى حدثنا محمد بن واسع عن معمر بن نهار عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « قال ربكم عز وجل لو أن عبيدي أطاعوني لأسقيهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولما أسمعتهم صوت الرعد » وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى الساجي حدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا يحيى بن كثير أبو النضر حدثنا عبد الكريم حدثنا عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذا كرا » وقوله تعالى ( ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ) أي يرسلها نعمة ينتقم بها ممن يشاء ولهذا تكثر في آخر الزمان كما قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن مصعب حدثنا عمارة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول من صعق قبلكم العداة فيقولون صعق فلان وفلان وفلان » ، وقد روى في سبب نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا إسحاق حدثنا علي بن أبي سارة الشيباني حدثنا ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا مرة إلى رجل من فراعنة العرب فقال « اذهب فادعه لي » قال فذهب إليه فقال يدعوك رسول الله ﷺ ، فقال له من رسول الله ، وما الله ، أمن ذهب هو أم من فضة هو أم من نحاس هو ؟ قال فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال يا رسول الله قد خبرتك أنه أعنى من ذلك قال لي كذا وكذا ، فقال لي « ارجع إليه الثانية » فذهب فقال له مثلها فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد أخبرتك أنه أعنى من ذلك . فقال « ارجع إليه فادعه » فرجع إليه الثالثة قال فأعاد عليه ذلك الكلام فبينما هو يكلمه إذ بعث الله عز وجل سحابة حيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله عز وجل ( ويرسل الصواعق ) الآية ، ورواه ابن جرير من حديث علي بن أبي سارة به ، ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبيدة بن عبد الله عن يزيد

ابن هارون عن ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس فذكر نحوه وقال : حدثنا الحسن بن محمد حدثنا عفان حدثنا أبان ابن يزيد حدثنا أبو عمران الجوني عن عبد الرحمن بن صحار العبدى أنه بلغه أن النبي ﷺ بعثه إلى جبار يدعو فقال أرايتكم بكم أذهب هو؟ أم فضة هو؟ أم لؤلؤ هو؟ قال فبينما هو يجادلهم إذ بعث الله سبحانه فرعدت فأرسل عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه ونزلت هذه الآية وقال أبو بكر بن عياش عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال : جاء يهودى فقال يا محمد أخبرني عن ربك من أى شيء هو؟ من نحاس هو، أم من لؤلؤ أو ناقوت ، قال فجاءت صاعقة فأخذته وأنزل الله ( ويرسل الصواعق ) الآية

وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا أنكر القرآن وكذب النبي ﷺ فأرسل الله صاعقة فأهلكته وأنزل الله ( ويرسل الصواعق ) الآية وذكروا في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة لما قدما على رسول الله ﷺ المدينة فسألاه أن يجعل لهما نصف الأمر فأبى عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله ﷺ « يأبى الله عليك ذلك وأبناء قيلة » أى الأنصار ، ثم إنهما هما بالفتك برسول الله ﷺ فجعل أحدهما يخاطبه والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه فخماه الله تعالى منهما وعصمه ، فخرج من المدينة فانطلقا في أحياء العرب يجمعان الناس لحربه عليه الصلاة والسلام فأرسل الله على أريد سحابة فيها صاعقة فأحرقته ، وأما عامر بن الطفيل فأرسل الله عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة فجعل يقول يا آل عامر غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية حتى ماتا لهنما الله ، وأنزل الله في مثل ذلك ( ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله ) وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة أخو أريد يرثيه

أخشى على أريد الختوف ولا \* أرهب نوء السماء والأسد

فجعى الرعد والصواعق بال \* فارس يوم الكريمة النجد

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا مسعدة بن سعيد العطار حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني عبد العزيز ابن عمران حدثني عبد الرحمن وعبد الله ابنا زيد بن أسلم عن أبيهما عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أن أريد بن قيس ابن حز بن جليد بن جعفر بن كلاب وعامر بن الطفيل بن مالك قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنهيا إليه وهو جالس فجلسا بين يديه فقال عامر بن الطفيل يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت ، فقال رسول الله ﷺ « لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم » قال عامر بن الطفيل أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك ، قال رسول الله ﷺ « ليس ذلك لك ولا لقومك ولكن لك أئنة الخيل » قال أنا الآن في أئنة خيل نجد اجعل لي الوبر ولك المدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا » فلما قفلا من عنده قال عامر : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يمنعك الله » فلما خرج أريد وعامر قال عامر يا أريد أنا أشغل عنك محمدا بالحديث فاضربه بالسيف فان الناس إذا قتلت محمدا لم يزيدوا على أن يرضوا بالدية ويكرهوا الحرب فنعطيهم الدية ، قال أريد افعل ، فأقبلا راجعين إليه فقال عامر يا محمد قم معي أكلكم قمام مع رسول الله ﷺ فجلسا إلى الجدار ووقف معه رسول الله ﷺ يكلمه وسل أريد السيف فلما وضع يده على السيف يبست يده على قائم السيف فلم يستطع سسل السيف فأبطأ أريد على عامر بالضرب فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أريد وما يصنع فانصرف عنهما فلما خرج عامر وأريد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالحرّة - حرّة راقم - نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا اشخصا يا عدوى الله لعنكما الله فقال عامر من هذا يا سعد ، قال هذا أسيد بن حضير الكتاب فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أريد صاعقة فقتلته وخرج عامر حتى إذا كان بالحرريم أرسل الله قرحة فأخذته فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول غدة كغدة الجمل في بيت سلولية يرغب أن يموت في بيتها ، ثم ركب فرسه فأحضره حتى مات عليه راجعا فأنزل الله فيهما ( الله يعلم ما تحمل كل أنثى - إلى قوله - وما لهم من دونه من وال ) قال العقبان من أمر الله يحفظون محمدا ﷺ ، ثم

ذكر أربد وماتته به فقال ( ويرسل الصواعق ) الآية وقوله ( وهم يجادلون في الله ) أي يشكون في عظمته وأنه لا إله إلا هو ( وهو شديد المحال ) قال ابن جرير شديدة ماحلته في عقوبة من طغى عليه وعتا وتمادى في كفره ، وهذه الآية شبيهة بقوله ( ومكروا ومكروا ومكروا وهم لا يشعرون \* فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنادمرناهم وقومهم أجمعين ) وعن علي رضي الله عنه ( وهو شديد المحال ) أي شديد الأخذ ، وقال مجاهد: شديد القوة .

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاةُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ( له دعوة الحق ) قال التوحيد رواه ابن جرير ، وقال ابن عباس وقتادة ومالك عن محمد بن المنكدر ( له دعوة الحق ) لا إله إلا الله ( والذين يدعون من دونه ) الآية أي ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله ( كباسط كفيه إلى الماء ليلبغ فاه ) قال علي بن أبي طالب كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يئاله أبدأ يده فكيف يبلغ فاه ؟ وقال مجاهد ( كباسط كفيه ) يدعو الماء بلسانه ويشير إليه فلا يأتيه أبدا . وقيل المراد كقباض يده على الماء فانه لا يحكم منه على شيء كما قال الشاعر :

فاني وإياكم وشوقاً إليكم \* كقباض ماء لم تسقه أنامله

فأصبحت مما كان بيني وبينها \* من الود مثل القابض الماء باليد

وقال الآخر

ومعنى هذا الكلام أن الذي يبسط يده إلى الماء إما قابضا وإما متناولاً له من بعد كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلاً للشرب فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا قال ( وما دعاء الكافرين إلا في ضلال )

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلْمًا لَهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء ودان له كل شيء ولهذا يسجد له كل شيء طوعاً من المؤمنين وكرهاً من الكافرين ( وظلالمهم بالغدو ) أي البكر ( والآصال ) وهو جميع أصيل وهو آخر النهار كقوله تعالى ( أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله ) الآية

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو لأنهم معترفون بأنه هو الذي خلق السموات والأرض وهو ربها ومدبرها وهم مع هذا قد اتخذوا من دونه أولياء يعبدونهم وأولئك الآلهة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى نفعا ولا ضرا أي لا يحصل لهم منفعة ولا تدفع عنهم مضرة فهل يستوى من عبد هذه الآلهة مع الله ومن عبد الله وحده لاشريك له فهو على نور من ربه ؟ ولهذا قال ( قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ) أي أحعل هؤلاء المشركون مع الله آلهة تناظر الرب ومماثلة في الخلق فخلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره أي ليس الأمر كذلك فانه لا يشابهه شيء ولا يماثله ولا ند له ولا عدل له ولا وزير له ولا ولد ولا صاحبة ( تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ) وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آلهة هم معترفون أنها مخلوقة له عبيد له كما كانوا يقولون في تليبتهم : لبيك لاشريك لك ، إلا شريكاً هو لك تملكه وما

ملك وكما أخبر تعالى عنهم في قوله ( مانعهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) فأنكر تعالى عليهم ذلك حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ( ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ) ( وكم من ملك في السموات ) الآية وقال ( إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً \* لقد أحصاهم وعدهم عدداً \* وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ) فإذا كان الجميع عبيداً فلم يعبد بعضهم بعضاً بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الرأى والاختراع والابتداع ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم وخالفوهم فحققت عليهم كلمة العذاب لاحتمال ( ولا يظلم ربك أحداً )

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة على مثلين مضروبين للحق في ثباته وبقائه والباطل في اضمحلاله وفناؤه فقال تعالى ( أنزل من السماء ماء ) أى مطرا ( فسالت أودية بقدرها ) أى أخذ كل واد بحسبه فهذا كبير وسع كثيرا من الماء وهذا صغير وسع بقدره وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها فمنها ما يسع علما كثيرا ومنها من لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها ( فاحتمل السيل زبدا رابيا ) أى فجاء على وجه الماء الذى سال في هذه الأودية زبد على هذا مثل وقوله ( ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع ) الآية هذا هو المثل الثانى وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة ابتغاء حلية أى ليجعل حلية أو نحاسا أو حديدا فيجعل متاعا فانه يعلوه زبد منه كما يعلو ذلك زبد منه ( كذلك يضرب الله الحق والباطل ) أى إذا اجتمعا لا يثبت للباطل ولا دوام له كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ولا مع الذهب والفضة ونحوهما مما يسبك في النار بل يذهب ويضمحل ولهذا قال ( فأما الزبد فيذهب جفاء ) أى لا ينتفع به بل يتفرق ويتعزق ويذهب في جانبي الوادى ويلقى بالشجر وتنسفه الرياح وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب ولا يرجع منه شيء ولا يبقى إلا الماء وذلك الذهب ونحوه ينتفع به ولهذا قال ( وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ) كقوله تعالى ( وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ) وقال بعض السلف كنت إذا قرأت مثلا من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسى لأن الله تعالى يقول ( وما يعقلها إلا العالمون ) قال على بن ابن عباس فى قوله تعالى ( أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ) الآية هذا مثل ضرب به الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فأما الشك فلا ينتفع معه العمل ، وأما اليقين فينتفع الله به أهله وهو قوله ( فأما الزبد ) وهو الشك ( فيذهب جفاء ) وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ) وهو اليقين وكما يجعل الحلى في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله ( أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ) يقول احتمل السيل ما فى الوادى من عود ودمنة ( ومما يوقدون عليه فى النار ) فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد فللنحاس والحديد خبث فجعل الله مثل خبثه كنز بالماء فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة ، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأثبتت فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله والعمل السئ يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد وكذلك الهدى والحق جاء من عند الله فمن عمل بالحق كان له وبى كما بقى ما ينفع الناس فى الأرض وكذلك الحديد لا يستطيع أن يعمل منه سكين ولا سيف حتى يدخل فى النار فتأكل خبثه ويخرج جوده فينتفع به فكذلك يضمحل الباطل فإذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الأعمال فيزيح الباطل ويهلك وينتفع أهل الحق بالحق وهكذا روى فى تفسيرها عن مجاهد والحسن البصرى وعطاء وقتادة وغير واحد من السلف والخلف ، وقد صرب سبحانه وتعالى فى أول سورة البقرة للمنافقين مثلين ناريا ومائيا وهما قوله ( مثلهم كمثل الذى استوفد نارا فلما أضاءت ما حوله ) الآية ثم قال ( أو كصيب من



وَيَذَرُونِ بِالْحَسَنَةِ أَلْسِنَتَهُ أُولَئِكَ لَهُمْ عِاقِبَةُ الدَّارِ \* جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ  
وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ \* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن من اتصف بهذه الصفات الحميدة بأن لهم عاقبة الدار وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة (الذين يوفون بعهد الله ولا ينفضون الميثاق) وليسوا كالمنافقين الذين إذا عاهد أحدكم غدروا ، وإذا خاصم فجر . وإذا حدث كذب ، وإذا ائتمن خان ( والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ) من صلة الأرحام والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمخاويج وبذل المعروف ( ويخشون ربهم ) أى فيما يأتون وما يذرون من الأعمال يراقبون الله في ذلك ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة فلهم هذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والتعدية ( والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ) أى عن المحارم والمآثم فقطموا أنفسهم عنها لله عز وجل ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ( وأقاموا الصلاة ) بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى ( وأنفقوا مما رزقناهم ) أى على الدين يجب عليهم الاتفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب من فقراء ومخاويج ومساكين ( سرا وعلانية ) أى فى السر والجهر لم يمنعهم من ذلك حال من الأحوال أثناء الليل وأطراف النهار ( ويدعون بالحسنة السيئة ) أى يدفعون القبيح بالحسن ، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبوا واحتمالا وصفحاً وعفوا كفوله تعالى ( ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم \* وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ) ولهذا قال مخبراً عن هؤلاء السعداء المتصفين هؤلاء الصفات الحسنة بأن لهم عاقبة الدار ثم فسر ذلك بقوله ( جنات عدن ) والعدن الإقامة أى حنات إقامه يخلدون فيها ، وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: إن فى الجنة قسراً يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد ، وقال الضحاك فى قوله ( جنات عدن ) مدينة الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد الجنات حولها رواها ابن جرير ، وقوله ( ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ) أى يجمع بينهم وبين أحبائهم فيها من الأباء والأهلين والأبناء ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين لتقر أعينهم بهم حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله وإحساناً من غير تنقيص للأعلى عن درجته كما قال تعالى ( والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ) الآية وقوله ( والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ) أى وتدخل عليهم الملائكة من ههنا ومن ههنا لتهنئته بدخول الجنة فعند دخولهم إياها تفسد عليهم الملائكة مسلمين مهشين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والانعام والإقامة فى دار السلام فى جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام ، وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنى سعيد بن أنس عن أبي أيوب حدثنا معروف بن سويد الحرانى عن أبي عشانة المعافرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم . قال « أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتبقى بهم المكارة ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته : اتوهم فحيوهم فتقول الملائكة: نحن سكان سماءك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء ونسلم عليهم ؟ فيقول إنهم كانوا عباداً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً وتسد بهم الثغور وتبقى بهم المكارة ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء — قال — فتأتهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب ( سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ) » ورواه أبو القاسم الطبرانى عن أحمد بن رشدين عن أحمد بن صالح عن عبد الله بن وهب عن عمر بن الحارث عن أبي عشانة مع عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « أول ثلثة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين الذين تبقى بهم المكارة وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى سلطان لم تقض حتى يموت وهى فى صدره وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادى

الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي؟ ادخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسيح بحمدك الليل والنهار وتقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟ فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل عليهم الملائكة من كل باب: (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) وقال عبدالله بن المبارك عن بنية بن الوليد حدثنا أرطاة بن النذر سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج يقول جلست إلى أبي أمامة فقال: إن المؤمن ليكون متسكناً على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سلطان من خدم وعند طرف السباطين باب مبوب فيقبل الملك فيستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الذي يليه للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا فيقول أقربهم للمؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه للذي يليه ائذنوا له حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف رواه ابن جرير ورواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن عياش عن أرطاة بن النذر عن أبي الحجاج يوسف الإلهاني قال سمعت أبا أمامة فذكر نحوه وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول فيقول لهم «(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)» وكذلك أبو بكر وعمر وعثمان

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾

هذا حال الأشقياء وصفاتهم وذكراهم في الآخرة ومصيرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا فأولئك كانوا يوفون بعهد الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل، وهؤلاء (يقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض) كائنت في الحديث «آية المفاق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان» وفي رواية «وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر» ولهذا قال (أولئك لهم اللعنة) وهي الإبعاد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) وهي سوء العاقبة والمآل (ومأواهم جهنم وبئس المهاد) وقال أبو العالية في قوله تعالى (والذين ينقضون عهد الله) الآية قال هي ست خصال في المناققين إذا كان فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا ائتمنوا خانوا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الثلاث الخصال: إذا حدثوا كذبوا وإذا وعدوا أخلفوا وإذا ائتمنوا خانوا

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾

يذكر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ويقتدر على من يشاء لما له في ذلك من الحكمة والعدل وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا من الحياة الدنيا استدرجا لهم وإمهالا كما قال (أيحسبون أننا نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) ثم حقر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة فقال (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) كما قال (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلا) وقال (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع ويحيى بن سعيد قالا: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن المستورد أخي بن فهر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فلينظر بهم ترجع» وأشار بالسبابة رواه مسلم في صحيحه. وفي الحديث الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي أسك ميت والأسك الصغير الأذنين فقال «والله للدنيا أهون على الله



ما يقطعها » وفي صحيح البخارى من حديث يزيد بن زريع عن سعيد بن قباد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى ( وظل ممدود ) قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وقال الإمام أحمد حدثنا شرحبيل بن صالح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة أقرأ وإن شئتم وظل ممدود » أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ لأحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو مائة سنة - هي شجرة الخلد » وقال محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ ذكر سدرة المنتهى فقال « يسير في ظل الغصن منها الراكب مائة سنة - أو قال - يستظل في الفتن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال » رواه الترمذي وقال إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال سمعت أبا أمامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ « ما مسك من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوى فتفتح له أكامها فيأخذ من أى ذلك شاء ، إن شاء أبيض وإن شاء أحمر ، وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود مثل شقائق العمان وأرق وأحسن » وقال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر بن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : طوى شجرة في الجنة يقول الله لها تفتقي لعبدى عما شاء ففتقي له عن الخيل بسرورها والجمها ، وعن الإبل بأزمتها ، وعمما شاء من الكسوة ، وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه ههنا أثر أغريبا عجيبا ، قال وهب رحمه الله إن في الجنة شجرة يقال لها طوى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، زهرها رباط وورقها برود وقضبانها عنبر وبطحاؤها يافوت وترابها كافور ووحلها مسك يخرج من أصلها أثمار الخمر واللبن والعسل وهى مجلس لأهل الجنة فينزلونهم في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون نجبا مزهومة بسلاسل من ذهب وجوهها كالمصاييح حسنا ووبرها كخر المرعى من لبنه عليها رحال ألواحها من ياقوت ودفوفها من ذهب وثيابها من سندس وإستبرق فيفتحونها يقولون إن ربنا أرسلنا إليك لزوروه وتسلموا عليه قال فيركبونها فهى أسرع من الطائر وأوطأ من الفراش نجبا من غير مهنة يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه لا تصيب أذن راحلة منها أذن الأخرى ولا برك راحلة برك الأخرى ، حتى إن الشجرة لتتنحى عن طريقهم لثلاث فرق بين الرجل وأخيه ، قال فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه فإذا رأوه قالوا اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والاکرام قال فيقول تعالى عند ذلك : أنا السلام ومنى السلام وعليكم حقت رحمتى ومحبتى ، مرحبا بعبادى الذين خشوني بغيث وأطاعوا أمرى . قال فيقولون ربنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك فأذن لنا في السجود قدامك . قال فيقول الله إنها ليست بدار نصيب ولا عبادة ولكنها دار ملك ونعيم . وإنى قد رفعت عنكم نصب العبادة فسألوا ما شئتم فإن لكل رجل منكم أمنيته فيسألونه حتى إن أقصرهم أمنية ليقول ربى تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها رب فأتنى مثل كل شىء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا فيقول الله تعالى لقد قصرت بك أمنيتك ولقد سألت دون منزلتك . هذا لك منى لأنه ليس فى عطائى نكد ولا قصر يد ، قال ثم يقول اعرضوا على عبادى ما لم يبلغ أمانيتهم ولم يخطر لهم على بال قال فيعرضون عليهم حتى تقصر بهم أمانيتهم التى فى أنفسهم فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة فى كل قبة منها فرش من فرش الجنة متظاهرة فى كل قبة منها جاريتان من الحور العين على كل جاريتة منهن ثوبان من ثياب الجنة وليس فى الجنة لون إلا وهو فيها ولا ريح ولا طيب إلا قد عبى بهما ينفذ صوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من يراها أنهما دون القبة يرى مضمما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض فى ياقوتة حمراء يربان . له من الفضل على صاحبه كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل ، ويرى هو لهما مثل ذلك ويدخل إليهما فيحيانه ويقبلان ويتعلقان به ويقولان له والله ماظننا

أن الله يخلق مثلك ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينهى كل رجل منهم إلى منزله التي أعدت له ، وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن منبه وزاد فانظروا إلى موهوب ربكم الذي وهب لكم فإذا هو بقباب في الرفيق الأعلى وغرف مبنية من الدر والمرجان أبوابها من ذهب وسررها من ياقوت وفرشها من سندس وإستبرق، ومنابرها من نور يفور من أبوابها وعراسها نور مثل شعاع الشمس عنده مثل الكوكب الدر في النهار المضيء ، وإذا بقصور شاحخة في أعلى عليين من الياقوت يزهر نورها ، فلولا أنه مسخر إذا لا لتمتع الأنصار ، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض وما كان فيها من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالعقري الأحمر وما كان فيها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر ، وما كان فيها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالأرجوان الأصفر مبهوبة بالزمرد الأخضر والذهب الأحمر والفضة البيضاء قوائمها وأركانها من الجواهر وشرفها قباب من لؤلؤ ، وبروجها غرف من المرجان ، فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم قربت لهم براديين من ياقوت أبيض منفوخ فيها الروح تجنبها الولدان الخلدون بيد كل وليد منهم حكمة برذون من تلك البراديين ولجها وأعتتها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت سروحها سرر موضونة مفروشة بالسندس والإستبرق فانطلقت بهم تلك البراديين تزف بهم بطن رياض الجنة ، فلما انتهوا إلى منازلهم وحدوا الملائكة قعودا على منابر من نور ينتظرونهم ليزروهم ويصافحهم ويهنئهم كرامة ربهم ، فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تطاول به عليهم وما سألوا وتمنوا ، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة جنان جنتان ذواتا أفنان وجنتان مدهامتان ، وفيهما عينان نضاختان ، وفيهما من كل فاكهة زوجان ، وحوار مقصورات في الحيام ، فلما تبوءوا منازلهم واستقروا قرارهم قال لهم ربهم هل وحدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم وربنا ، قال هل رضيتم ثواب ربكم ؟ قالوا ربنا رضينا فارض عنا ، قال برضاي عنكم حلالتم داري ونظرتكم إلى وجهي وصافحتكم ملائكتي فهنيئاً هنيئاً لكم ( عطاء غير مجدود ) ليس فيه تنغيص ولا قصر يد فعند ذلك قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأدخلنا دار المقامة من فضله لا يمسننا فيها نصب ولا يمسننا فيها لغوب . إن ربنا لغفور شكور وهذا سياق غريب وأثر عجيب ولبعضه شواهد ، ففي الصحيحين أن الله تعالى يقول لذلك الرجل الذي يكون آخر أهل الجنة دخولا الجنة : تمن فيتمنى حتى إذا انتهت به الأمانى يقول الله تعالى : تمن من كذا وتمن من كذا يذكره ثم يقول ذلك لك وعشرة أمثاله .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل « يا عبادي لو أن أولكم وآحركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل في البحر » الحديث بطوله ، وقال خالد بن معدان : إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ، لها ضرع كلها ترضع صبيان أهل الجنة ، وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيبعث ابن أربعين سنة . رواه ابن أبي حاتم

﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴾

بِالرَّحْمَنِ قَوْلُ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿

يقول تعالى وكما أرسلناكنا محمد في هذه الأمة ( لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك ) أي تبليغهم رسالة الله إليهم كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله وقد كذب الرسل من قبلك فلك بهم أسوة ، وكما أوقعنا بأسنا ونقمنا بأولئك فليحذر هؤلاء من حلول النقم بهم فان تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من المرسلين قال الله تعالى ( تالله لقد أرسلناكنا إلى أمم من قبلك ) الآية ، وقال تعالى ( ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين ) أي كيف نصرناهم وجعلنا العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة ،

وقوله ( وهم يكفرون بالرحمن ) أى هذه الأمة التى بعثناك فيها يكفرون بالرحمن لا يقرون به لأهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم ، ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وقالوا ماندرى ما الرحمن الرحيم ، قاله قتادة والحديث فى صحيح البخارى ، وقد قال الله تعالى ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ) وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » ( قل هو ربي لا إله إلا هو ) أى هذا الذى تكفرون به أنا مؤمن به معترف ، مقره بالربوبية والإلهية هو ربي لا إله إلا هو ( عليه توكلت ) أى فى جميع أمورى ( وإليه متاب ) أى إليه أرجع وأبىب فانه لا يستحق ذلك أحد سواه .

﴿ وَلَوْ أَن قُرْءَانَا سِيرَتِ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلَّ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِنَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَافُ الْمِيعَادَ ﴾

يقول تعالى مادحا للقرآن الذى أنزله على محمد ﷺ ومفضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله ( ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ) أى لو كان فى الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها أو تقطع به الأرض وتنشق أو تكلم به الموتى فى قبورها لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره أو بطريق الأولى أن يكون كذلك لما فيه من الإعجاز الذى لا يستطيع الإنسان والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله ولا بسورة من مثله ومع هذا فهو لاء المشركون كافرون به جاحدون له ( بل لله الأمر جميعا ) أى مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن يضل الله فلا هادى له ، ومن يهد الله فما له من مضل ، وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة لأنه مشتق من الجمع ، قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته أن تسرج فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل إلا من عمل يديه » انفرد بإخراجه البخارى ، والمراد بالقرآن هو الزبور وقوله ( أفلم ييأس الذين آمنوا ) أى من إيمان جميع الخلق ويعلموا أو يتبينوا ( أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ) فانه ليس ثم حجة ولا معجزة أبلغ ولا أشجع فى العقول والنفوس من هذا القرآن الذى لو أنزل الله على جبل لرأته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « مامن نبي إلا وقد أوتى ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » معناه أن معجزة كل نبي انقضت بموته وهذا القرآن حجة باقية على الأباد لاتنقض عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا منجاب ابن الحارث أنبأنا بشر بن عمار حدثنا عمر بن حسان عن عطية العوفى قال قلت له ( ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ) الآية قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم لو سيرت لنا حبال مكة حتى تتسع فبحرث فيها أوقطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيى الموتى لقومه فأنزل الله هذه الآية ، قال قلت هل ترون هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ ؟ قال نعم عن أبي سعيد عن النبي الله صلى الله عليه وسلم وكذا روى عن ابن عباس والشعبي وقتادة والثوري وغير واحد فى سبب نزول هذه الآية والله أعلم ، وقال قتادة لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم لفعل بقرآنكم ، وقوله ( بل لله الأمر جميعا ) قال ابن عباس أى لا يصنع من ذلك إلا ماشاء ولم يكن ليفعل رواه ابن إسحق بسنده عنه وقاله ابن جرير أيضا وقال غير واحد من السلف فى قوله ( أفلم ييأس الذين آمنوا ) أفلم يعلم الذين آمنوا ، وقرأ آخرون أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقال أبو العالية قد يئس الذين آمنوا أن يهدوا ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا ، وقوله ( ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من

دارهم) أى سبب تكذيبهم لا تزال القوارع تصيبهم فى الدنيا أو تصيب من حولهم ليتعظوا ويعبروا كما قال تعالى (ولقد أهلكنما ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلمهم يرجعون) وقال (أفلا يرون أنا نأتى الأرض نقصها من أطرافها أفهم العالون) قال قتادة عن الحسن (أوتحل قريباً من دارهم) أى القارة وهذا هو الطاهر من السياق ، وقال أبو داود الطيالسى حدثنا المسعودى عن قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة) قال سرية (أوتحل قريباً من دارهم) قال محمد صلى الله عليه وسلم (حتى يأتى وعد الله) قال «فتح مكة» وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد فى رواية ، وقال العوفى عن ابن عباس (تصيبهم بما صنعوا قارعة) قال عذاب من السماء ينزل عليهم (أوتحل قريباً من دارهم) يعنى نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقتاله إياهم وكذا قال مجاهد وقتادة وقال عكرمة فى رواية عن ابن عباس (قارعة) أى نكبة وكلهم قال (حتى يأتى وعد الله) يعنى فتح مكة وقال الحسن البصرى يوم القيامة ، وقوله (إن الله لا يخلف الميعاد) أى لا ينقض وعده لرسله بالنصرة لهم ولأتباعهم فى الدنيا والآخرة (فلا تحسبن الله يخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام)

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

يقول تعالى مسلياً لرسوله ﷺ فى تكذيب من كذبه من قومه (ولقد استهزئتم برسل من قبلك) أى فلك فهم أسوة (فأمليت للذين كفروا) أى أنظرتهم وأجلتهم (ثم أخذتهم) أخذت رابية فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم وأمليت لهم كما قال تعالى (وكأن من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلى الصير) وفى الصحيحين «إن الله ليليل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد)

﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبٌ سَمُومٌ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَظَهْرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾

يقول تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفسه يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر ولا يخفى عليه خافية (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذا تفيضون فيه) وقال تعالى (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) وقال (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) وقال (سواء منكم من أسرار القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) وقال (يعلم السر وأخفى) وقال (وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير) أفمن هو كذلك كالأصنام التى يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تملك نفعاً لأنفسها ولا لعابديها ولا تكشف ضرر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاءً بدلالة السياق عليه وهو قوله (وجعلوا لله شركاء) أى عبدوها معه من أصنام وأنداد وأوثان (قل سموم) أى أعلمونا بهم واكشفوا عنهم حتى يعرفوا فأنهم لا حقيقة لهم ولهذا قال (أم تنبئونه بما لا يعلم فى الأرض) أى لا وجود له لأنه لو كان لها وجود فى الأرض لعلمها لأنه لا يخفى عليه خافية (أم بظاهر من القول) قال مجاهد بظن من القول ، وقال الضحاك وقتادة يبطل من القول أى إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر وسميتموها آلهة (إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) \* إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال مجاهد قولهم أى ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آتاء الليل وأطراف النهار كقوله تعالى (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم) الآية (وصدوا عن السبيل) من قرأها بفتح الصاد معناه أنه لما زين لهم ما فيه وأنه حق دعوا إليه وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل ، ومن قرأها بالضم أى بما زين لهم من صحة ما هم عليه صدوا به عن سبيل الله ولهذا قال (ومن بضل الله فماله من هاد) كما قال (ومن يرد الله فنته فلن يملك له من الله شيئاً) وقال (إن نحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين)

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ آخِرٌ وَأَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴾ \* مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك ( لهم عذاب في الحياة الدنيا ) أى بأيدي المؤمنين قتلا وأسرا ( ولعذاب الآخرة ) أى المدخر مع هذا الحزى في الدنيا ( أشق ) أى من هذا بكثير كما قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين « إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة » وهو كما قال صلوات الله وسلامه عليه . فإن عذاب الدنيا له انقضاء وذاك دائم أبداً في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفاً ووثاق لا يتصور كشافته وشدته كما قال تعالى ( فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ) وقال تعالى ( وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً \* إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً \* وإذا ألقوا منها من مكانا ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً \* لا تدعوا اليوم ثبورا واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً \* قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيراً ) ولهذا قرن هذا بقوله ( مثل الجنة التي وعد المتقون ) أى صفتها ونعتها ( تجرى من تحتها الأنهار ) أى سارحة في أرحائها وجوانبها وحيث شاء أهلها يفجرونها نفعياً أى يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا كقوله ( مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لينة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة ) الآية وقوله ( أكلها دائم وظلها ) أى فيها الفواكه والمطاعم والمشرب لا انقطاع ولا فناء ، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف وفيه قالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا ثم رأيناك تكلمت فقال « إني رأيت الجنة وأرأيت الجنة فتناولت منها عقوداً ولو أخذته لأكلت منه ما بقيت الدنيا » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خبيشة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا أبو عقيل عن جابر قال : بينا نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب يارسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما رأيناك كنت تصنعه فقال « إني عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفاً من عنب لأنيسكم به فحبل بيني وبينه ، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه » وروى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر شاهداً لبعضه ، وعن عتبة بن عبد السلمي أن أعرايباً سألت النبي ﷺ عن الجنة فقال فيها عنب ؟ قال « نعم » قال فاعظم العنقود ؟ قال « مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يفتر » رواه الإمام أحمد وقال الطبراني حدثنا معاذ بن المنى حدثنا علي بن المدبني حدثنا ربحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى » وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يببولون طعامهم جشاء كريح المسك ويأهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس » ورواه مسلم ، وروى الإمام أحمد والنسائي من حديث الأعمش عن نعام بن عقبة سمعت زيد بن أرقم قال : جاء رجل من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم : تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال « نعم والذى نفس محمد بيده إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة » قال إن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال « تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كريح المسك فيضمر بطنه » رواه الإمام أحمد والنسائي وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد بن الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فيخر بين يديك مشوياً » وجاء في بعض الأحاديث أنه إذا فرغ منه عاد طائراً كما كان باذن الله تعالى وقد قال الله تعالى ( وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ) وقال ( ودانية عليهم ظلالها واذلت قلوبها تذليلًا ) وكذلك ظلها لا يزول ولا يقلص كما قال تعالى ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى

من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) وقد تقدم في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب المجد الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها » ثم قرأ ( وظل ممدود ) وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين صفة الجنة وصفة النار ليرغب في الجنة ويحذر من النار ، ولهذا لما ذكر صفة الجنة بما ذكر قال بعده ( تلك عقبي الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ) كما قال تعالى ( لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون ) وقال بلال بن سعد خطيب دمشق في بعض خطبه : عباد الله ، هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئا من عبادتكم تقبلت منكم أو أن شيئا من خطاياكم غفرت لكم ؟ ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ) والله لوعجل لكم الثواب في الدنيا لاستقلتم كلكم ما افترض عليكم ، أو ترغبون في طاعة الله لتعجيل دنياكم ولا تنافسون في الجنة ( أكلها دائم ) رواه ابن أبي حاتم

﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ \* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾

يقول تعالى ( والذين آتيناهم الكتاب ) وهم قارئون بمقتضاه ( يفرحون بما أنزل إليك ) أى من القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به كما قال تعالى ( الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ) الآية وقال تعالى ( قل آمنوا به أولا تؤمنوا - إلى قوله - إن كان وعد ربنا لمفعولا ) أى إن كان ما وعدنا الله به في كتبنا من إرسال محمد ﷺ لحقا وصدقا مفعولا لا محالة وكأنا فسبحانه ما أصدق وعده فله الحمد وحده ( ويخرون للأذقان ليكون يزيدهم خشوعا ) وقوله ( ومن الأحزاب من ينكر بعضه ) أى ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك وقال مجاهد ( ومن الأحزاب ) أى اليهود والنصارى ( من ينكر بعضه ) أى بعض ما جاءك من الحق وكذا قال قتاده وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا كما قال تعالى ( وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ) الآية ( قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ) أى إنما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له كما أرسل الأنبياء من قبلى ( إليه أَدْعُو ) أى إلى سبيله أَدْعُوا النَّاسَ ( وإليه مآب ) أى مرجعى ومصيرى . وقوله ( وكذلك أنزلناه حكما عربيا ) أى وكما أرسلنا قبلك المرسلين وأنزلنا عليهم الكتاب من السماء كذلك أنزلنا عليك القرآن محكما معربا شرفناك به وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح العجلى الذى ( لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) وقوله ( ولئن اتبعت أهواءهم ) أى آراءهم ( بعد ما جاءك من العلم ) أى من الله سبحانه ( مالك من الله من ولي ولا واق ) وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبيل أهل الضلالة بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والحجة الحميدة على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ \* يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾

يقول تعالى وكما أرسلناك يا محمد رسولا بشريا كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويأتون الزوجات ويولد لهم وجعلنا لهم أزواجا وذرية وقد قال تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم ( قل إنما أنا بشر مثلكم بوحى إلى ) وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أما أنا أفأصوم وأفطر وأفوم وأنام وآكل اللحم وأزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أنبأنا الحجاج

ابن أروطة عن مكحول قال : قال أبو أيوب : قال رسول الله ﷺ « أربع من سنن من المرسلين . التعطر والنكاح والسواك والحاء » وقد رواه أبو عيسى الترمذي عن سفيان بن وكيع عن حفص بن غيلان عن الحجاج عن مكحول عن أبي الشمال عن أبي أيوب فذكره ثم قال وهذا أصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشمال وقوله ( وما كان لرسول أن تأتي بآية إلا بإذن الله ) أي لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أذن له فيه ليس ذلك إليه بل إلى الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ( لكل أجل كتاب ) أي لكل مدة مضرورة كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار ( ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ) وكان الضحاك ابن مزاحم يقول في قوله ( لكل أجل كتاب ) أي لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضرورة عند الله ومقدار معين فلهدا ( محجوا الله ما يشاء ) منها ( ويثبت ) يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وقوله ( محجوا الله ما يشاء ويثبت ) اختلف المفسرون في ذلك فقال الثوري ووكيع وهشيم عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس : يدبر أمر السنة فيمحجوا الله ما يشاء إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت ، وفي رواية ( محجوا الله ما يشاء ويثبت ) قال كل شيء إلا الموت والحياة والشقاء والسعادة فانهما قد فرغ منهما ، وقال مجاهد ( محجوا الله ما يشاء ويثبت ) إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة فانهما لا يتغيران ، وقال منصور سألت مجاهداً فقلت أرأيت دعاء أحدنا يقول : اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبتته فيهم وإن كان في الأشقياء فامحجه عنهم واجعله في السعداء فقال حسن ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر فسألته عن ذلك فقال ( إنا أنزلناه في ليلة مباركة ) الآيتين قال يقضى في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، فأما كتاب السعادة والشقاوة فهو ثابت لا يعبر ، وقال الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة إنه كان كثيراً يدعو بهذا الدعاء : اللهم إن كنت كتبنا أشقياء فامحجه واكتبنا سعداء وإن كنت كتبنا سعداء فأثبتنا فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب . رواه ابن جرير ، وقال ابن جرير أيضاً حدثنا عمرو بن علي حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن أبي حكيمة عصمة<sup>(١)</sup> عن أبي عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو يطوف بالبيت ويكفي : اللهم إن كنت كتبت على شقوة أو ذنباً فامحجه فانك محجوا ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة وقال حماد عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يدعو بهذا الدعاء أيضاً ورواه شريك عن هلال بن حميد عن عبد الله بن عليم عن ابن مسعود بمثله ، وقال ابن جرير حدثني الثوري حدثنا حجاج حدثنا خفاف<sup>(٢)</sup> عن أبي حمزة عن إبراهيم أن كعباً قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلى يوم القيامة ، قال وما هي؟ قال قول الله تعالى ( محجوا الله ما يشاء ) الآية ومعنى هذه الأقوال أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء ، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان هو الثوري عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليحرم الرزق بالأنب يصيبه ولا يبرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان الثوري به ، وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر ، وفي حديث آخر « إن الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض » وقال ابن جرير حدثني محمد بن سهل بن عسكر حدثنا عبد الرزاق أنا ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس قال إن لله لوحاً محطوظاً مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من باقوت — والدفتان لوحان — لله . كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . وقال الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل ، في الساعة الأولى منها ينظر في الذكر الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحجوا ما يشاء ويثبت » وذكر تمام الحديث رواه ابن جرير وقال الكافي يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يمحو من الرزق ويضيفه ، ويمحو من الأجل ويضيفه ، فقليل له من حدثك بهذا ؟ فقال أبو صالح عن جابر بن عبد الله بن رباب عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم سئل بعد ذلك

(١) كلمة عصمة غير موجودة في نسخة ابن جرير . (٢) وفيها : حماد .

عن هذه الآية فقال يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قولك أكلت وشربت دخلت وخرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب ، وقال عكرمة عن ابن عباس: الكتاب كتابان فكتاب يمحوا الله منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ( يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ) يقول هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحوا ؛ والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت ، وروى عن سعيد بن جبير أنها بمعنى ( يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، والله على كل شيء قدير ) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ( يمحوا الله ما يشاء ويثبت ) يقول يبذل ما يشاء فينسخه ويثبت ما يشاء فلا يبذله ( وعنده أم الكتاب ) وحمله ذلك عنده في أم الكتاب الناسخ وما يبذل وما يثبت كل ذلك في كتاب ، وقال قتادة في قوله ( يمحوا الله ما يشاء ويثبت ) كقوله ( ما ننسخ من آية أو ننسها ) الآية ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ( يمحوا الله ما يشاء ويثبت ) قال قالت كفار قريش لما نزلت ( وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ) ما نرى محمداً يملك شيئاً وقد فرغ من الأمر فأنزلت هذه الآية تخويفاً ووعداً لهم إنا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا ونحدث في كل رمضان فيمحوا ما يشاء ويثبت ما يشاء من أرزاق الناس ومصائبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم ، وقال الحسن البصري ( يمحوا الله ما يشاء ويثبت ) قال من جاء أجله يذهب ويثبت الذي هو حي يجرى إلى أجله ، وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه الله وقوله ( وعنده أم الكتاب ) قال الحلال والحرام ، وقال قتادة أي جملة الكتاب وأصله ، وقال الضحاك ( وعنده أم الكتاب ) قال كتاب عند رب العالمين ، وقال سنيد بن داود حدثني معتمر عن أبيه عن يسار عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن أم الكتاب فقال : علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ثم قال لعلمه: كن كتاباً فكان كتاباً ، وقال ابن جريج عن ابن عباس ( وعنده أم الكتاب ) قال الله كـ .

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ \* أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعْتَبَرٍ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

يقول تعالى لرسوله ( وإما نرينك ) يا محمد بعض الذي نعد أعداءك من الخزي والنكال في الدنيا ( أو توفينك ) أي قبل ذلك ( فإنما عليك البلاغ ) أي إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد فعلت ما أمرت به ( وعلينا الحساب ) أي حسابهم وجزاؤهم كقوله تعالى ( فذكر إنما أنت مذكر \* لست عليهم بمسيطر \* إلا من تولى وكفر \* فيعذبه الله العذاب الأكبر \* إن إلينا إيابهم \* ثم إن علينا حسابهم ) وقوله ( أو لم يروا أن تأتي الأرض تنقصها من أطرافها ) قال ابن عباس أو لم يروا أنا فنحن لمحمد صلى الله عليه وسلم الأرض بعد الأرض ، وقال في رواية أو لم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية وقال مجاهد وعكرمة تنقصها من أطرافها قال خرابها ، وقال الحسن والضحاك هو ظهور المسلمين على المشركين ، وقال العوفي عن ابن عباس : نقصان أهلها وبركتها وقال مجاهد نقصان الأنفس والثمرات وخراب الأرض ، وقال الشعبي لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك ولكن تنقص الأنفس والثمرات وكذا قال عكرمة لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تقعد فيه ولكن هو الموت . وقال ابن عباس في رواية خرابها يموت علماءها وفقهائها وأهل الخير منها ، وكذا قال مجاهد أيضاً : هو موت العلماء ، وفي هذا المعنى روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد العزيز أني القاسم المصري الواعظ سكن أصفهان حدثنا أبو محمد طلحة بن أسد المري بدمشق أنشدنا أبو بكر الأجرى بمكة قال أنشدنا أحمد بن نمزال لنفسه .

الأرض تحيا إذا ما عاش علمها \* متى يموت عالم منها يموت طرف

كالأرض تحيا إذا ما أعيث حل بها \* وإن أبي عاد في أكنافها التلف

والقول الأول أولى وهو ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية كقوله ( ولقد أهلكتنا ما حولكم من القرى )

الآية وهذا اختيار ابن جرير .

﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعْنَا لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾

يقول تعالى ( وقد مكر الذين من قبلهم ) برسلهم وأرادوا إخراجهم من بلادهم فمكر الله بهم وحعل العاقبة للمتقين كقوله ( وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ) وقوله تعالى ( ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون \* فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنادمرناهم وقومهم أجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ) الآيتين ، وقوله ( يعلم ما تكسب كل نفس ) أى أنه تعالى عالم بجميع السرائر والصلوات وسيجرى كل عامل بعمله ( وسيعلم الكافر ) والقراءة الأخرى الكفار ( لمن عقبى الدار ) أى لمن تكون الدائرة والعاقبة لهم أو لأتباع الرسل ، كلا ، بل هى لأتباع الرسل فى الدنيا والآخرة والله الحمد والمنة

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾

يقول تعالى يكذبك هؤلاء الكفار ويقولون ( لست مرسلا ) أى ما أرسلك الله ( قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ) أى حسبى الله هو الشاهد على وعليكم ، شاهد على فيما بلغت عنه من الرسالة وشاهد عليكم أى المكذبون فيما تقرونه من البهتان ، وقوله ( ومن عنده علم الكتاب ) قيل نزلت فى عبد الله بن سلام . قاله مجاهد وهذا القول غريب لأن هذه الآية مكية ، وعبد الله بن سلام إنما أسلم فى أول مقدم النبي ﷺ المدينة ، والأظهر فى هذا ما قاله العوفي عن ابن عباس قال هم من اليهود والنصارى ، وقال قادة منهم ابن سلام وسلمان وتميم الدارى ، وقال مجاهد فى رواية عنه هو الله تعالى وكان سعيد بن جبير ينسب أن يكون المراد بها عبد الله بن سلام ويقول هى مكية وكان يقرؤها ( ومن عنده علم الكتاب ) ويقول من عند الله ، وكذا قرأها مجاهد والحسن البصرى . وقد روى ابن جرير من حديث هارون الأعور عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ( ومن عنده علم الكتاب ) ثم قال لأصله من حديث الزهرى عند الثقات ، قلت وقد رواه الحافظ أبو يعلى فى مسنده من طريق هارون بن موسى هذا عن سليمان ابن أرقم وهو ضعيف عن الزهرى عن سالم عن أبيه مرفوعا كذلك ولا يثبت والله أعلم . والصحيح فى هذا أن ( ومن عنده ) اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى كتبهم للتقدمة من بشارات الأنبياء به كما قال تعالى ( ورحمى وسعت كل شئ فساء كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآبائنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ) الآية ، وقال تعالى ( أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل ) الآية وأمثال ذلك مما فيه الإخبار عن علماء بنى إسرائيل أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة . وقد ورد فى حديث الأخبار عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة . قال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني فى كتاب دلائل النبوة وهو كتاب جليل حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن مصفى حدثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عبد الله بن سلام أنه قال لأخبار اليهود إنى أردت أن أحدث بمسجد أبيتنا إبراهيم وإسماعيل عهدا فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فواظمهم وقد انصرفوا من الحج فوجد رسول الله ﷺ بنى والناس حوله تقام مع الناس ، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال « أنت عبد الله بن سلام ؟ » قال قلت نعم ؛ قال « ادن » قال فدنوت منه قال « أشدك بالله يا عبد الله بن سلام أما تجدنى فى التوراة رسول الله ؟ » فقلت له انعت ربنا ، قال فجاء جبريل حتى وقف بين يدى رسول الله ﷺ فقال له ( قل هو الله أحد الله الصمد ) إلى آخرها ، فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلام أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، ثم انصرف ابن سلام إلى المدينة فكم إسلامه ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأنا فوق نخلة لى أجدها فألقيت نفسى فقالت أمى : لله أنت لو كان موسى بن عمران ما كان

لك أن نافي نفسك من رأس الحجة فقلت والله لأنا أسر بقدم رسول الله ﷺ من موسى بن عمران إذ بعث . وهذا حديث غريب جدا آخر تفسير سورة الرعد والله الحمد والله

## ﴿ تفسير سورة إبراهيم عليه السلام وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الرَّكِيبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ \* اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ \* الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور (كتاب أنزلناه إليك) أي هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن العظيم الذي هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء على أشرف رسول بعثه الله في الأرض إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم (لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) أي إنما بعثناك يا محمد بهذا الكتاب لتخرج الناس مما هم فيه من الضلال والقي إلى الهدى والرشد كما قال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) الآية . وقال تعالى (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور) الآية وقوله (بإذن ربهم) أي هو الهادي لمن قدر له الهداية على يدي رسوله للبعوث عن أمره يهديهم (إلى صراط العزيز) أي العزيز الذي لا يمانع ولا يغالب بل هو القاهر لكل ماسواه (الحميد) أي الحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وأمره ونهيه الصادق في خبره وقوله (الله الذي له ما في السموات وما في الأرض) قرأ بعضهم مستأنفا مرفوعا وقرأ آخرون على الاتباع صفة للجلالة كقوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض) الآية وقوله (وويل للكافرين من عذاب شديد) أي ويل لهم يوم القيامة إذ خالفوك يا محمد وكذبوك ، ثم وصفهم بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أي يقدمونها ويؤثرونها عليها ويعملون للدنيا ونسوا الآخرة ونزكوها وراء ظهورهم (ويصدون عن سبيل الله) وهي اتباع الرسل (ويبغونها عوجا) أي يحبون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة عائلة وهي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلفها في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد من الحق لا يرجى لهم والحالة هذه صلاح

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم كما روى الأمام أحمد حدثنا وكيع عن عمر بن ذر قال : قال مجاهد عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « لم يبعث الله عز وجل نبيا إلا بلغة قومه » وقوله (يفضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل الله من يشاء عن وجه الهدى ويهدي من يشاء إلى الحق (وهو العزيز) الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (الحكيم) في أفعاله يفضل من يستحق الاضلال ويهدي من هو أهل لذلك ، وقد كانت هذه سنته في خلقه أنه ما بعث نبيا في أمة إلا أن يكون بلغتهم فاخص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم واختص محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة إلى سائر الناس كما ثبت في الصحيحين عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم